مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــرام

التاريخ : ١٩٧٨/١/١٣

مجرد سياسة

بكل الصدق مع انفسنا ومع عقولنا يجب أن نتوقع طريقا طويلا ومضنيا قد نتوقف عليه أو ندخل خلاله فى مسالك ضيقة خائفة ..

الطريق الصعب

استطاع مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل ان يشد الاهتمام فى الايام الاخيرة بتلك « القنبلة » التى فجرها على « طريق السلام » . وهو يتحدث عن المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء « وتأكيده » ان هذه المستوطنات التى اقيمت فوق ارض مصرية سوف تبقى على « مدى الاجيال القادمة » وان القوات الاسرائيلية هى التى ستتولى حمايتها « ! »

وفى النظر الى « التوقيت » الذى قام فيه بيجين بتفجير تلك القنبلة يمكن على الفور اكتشاف انها جاءت فى اعقاب فترة كان اهتمامنا فيه مركزا على الضفة الغربية . اما سيناء فلقد كان الاحساس السائد أنه لاخلاف عليها .

وبعد لقاء اسوان بين الرئيسين كارتر والسادات والحديث المركز فيه حول موضوع الضفة الغربية ، جاء تفجير اسرائيل لقنبلة « المستوطنات » فى سيناء ، وكان المقصود بها لفت نظر المفاوض المصرى الى ان الطريق الى سيناء ليس سهلا تماما او خاليا من المتفجرات والالغام المعقدة .

« والمستوطنة » هى عبارة عن وحدة زراعية اقامتها اسرائيل فى الارض التى امتدت يدها اليها بعد ٦٧ اى انها اقامتها خارج الحدود التى كانت فيها حتى ٥ يونيو ٦٧ . وتضم المستعمرة فى المتوسط ١٠٠ اسرة او اكثر .

وهذه المستوطنات لم تقمها اسرائيل فى سيناء فقط وانما اقامتها فى الجولان وفى الضفة الغربية .

وفى ضوء ماهو معروف فلقد اقامت اسرائيل حوالى ٢٥ مستوطنة فى سيناء اكبرها مستعمرة ياميت فى الشمال قرب رفح ، كما اقامت ٢٥ مستوطنة اخرى فى الجولان ، ومن ٤٠ الى ٥٠ مستوطنة فى الضفة الغربية .

وفى كل هذه المستوطنات يتعيش حوالى ٥٢ الف اسرائيلى يمثلون نحو ٧ر١٪ من تعداد سكان اسرائيل البالغ عددهم ٣ر١ مليون نسمة ٠

وفى « وزن » الكلام الذى قاله بيجين عن هذه المستوطنات يبدو انه استخدم « اقصى » و « ادنى » ما لديه ٠ فمن بين تصريحاته انه اذا عارضت مصر فى بقاء هذه المستوطنات فان اسرائيل سوف تطلب ادخال تعديلات اقليمية على الحدود الدولية فى سيناء ٠٠ ثم أكثر من ذلك عدد بيجين « بسخب » مقترحاته التى قدمها « للسلام » اذا ما رفض المصريون هذه الشروط ٠

والسؤال : اذا كان هذا هو الوضع ونحن فى أول الطريق ، وملفات المشاكل تبدو عديدة ومتضخمة ، فكيف سنصل الى آخر الطريق !

ان التفكير درجات ٠٠

ومحاولة التفكير الهادىء فيما يجرى حولنا — فى عالم ما بعد نوفمبر — يمكن ان تقودنا الى الافكار التالية :

■ عن المفاوض الاسرائيلى

① ان اسرائيل كدولة [قيادة وشعبا] لم تجرب يوما واحدا حياة السلام ٠٠ لقد عاشت حياتها منذ اعلن مولدها فى ١٥ مايو ١٩٤٨ فى حالة حرب دائمة بكل ما تتطلبه من استنفار واعداد وتأهب ٠

② ان الذى لا شك فيه ان حالة الحرب هذه كانت ترضى القيادة الاسرائيلية من عدة وجوه كثيرة ٠

— ففى اطار هذه « الحالة الحربية » التى كانت تسود اسرائيل :

●● امكنها ان تخدع العالم بان مطلبها هو السلام وغيرها من الذين حولها يريدون لها الموت والدمار ٠٠ وبهذا تمكنت من كسب الراى العام العالمى ٠

●● استطاعت ان تستدر العطف الامريكى وان تحول دموع هذا العطف الى معونات مادية ضخمة ، وامدادات عسكرية وضعتها فى قمة التجهيز

●● أكثر من ذلك تمكنت من اخفاء هدفها الاساسى فى احتلال المزيد من الاراضى العربية مستغلة تحول القيادات العربية الى أفواه لا تنطق الا بجملة « عودة فلسطين المغتصبة » ، وهو شعار اتخذت منه كثير من الدول ستارا تخفى خلفه عدم قدرتها على تحقيق اى حل عادل لقضية فلسطين ٠

③ ان الشعب الاسرائيلى فى نشوة الانتصار الذى حققته قيادته فى ٧٣ وجعلته — بلا شك — يطمئن الى هذه القيادة التى حققت له هذه الانتصارات ، وجد نفسه فوق ارض الواقع فى أكتوبر ٧٣ ٠٠ وبعد الحجم المنتفخ المتورم الذى تصور شعب اسرائيل انه يستطيع ان يصل اليه بفضل يد عسكريته الطويلة التى لاتقهر ٠ فان هذا الشعب وجد نفسه فى مواجهة حجمه الحقيقى وقصر اليد العسكرية التى كان يتصورها طويلة جدا ٠

④ ان القيادة الاسرائيلية — بعد الهزة العنيفة التى اصابتها فى اعقاب حرب أكتوبر ٧٣ — بدأت تعيد استغلال الزمن لحسابها معتمدة على :

●● جذب الاهتمام العربى الى الشكليات وتضييع الوقت الطويل فى مناقشة وفحص وتحليل هذه الشكليات بحيث تبدو هى الجوهر ٠

●● استغلال الاتحاد السوفيتى كعامل اصبح يساعد أخيرا على تفريق الامة العربية ، واغراق جهودها فى معارك اخرى مثل الحصار الذى

حاول أن يفرضه على مصر مرة من باطن افريقيا ، ومرة من جانبها الغربى من ناحية ليبيا .

●● محاولة اللعب بمهارة لتفريغ سلاح البترول من محتواه ، وتحويل ارصدة دول البترول الى اسرى حبيسة البنوك الغربية والامريكية .

●● ثقة اسرائيل الى أن « عنصر الوقت » سوف يستنفد «رصيد اكتوبر» الذى مازالت تسحب منه الامة العربية

●● اطمئنان اسرائيل الى أن احدا من القادة العرب لن يجرؤ على قبول تحدى شعار السلام الذى تتظاهر بتلويحه امام العالم ويدعوها الى مفاوضات مباشرة .

⑤ بناء على ذلك كله ، فان الجانب الاسرائيلى وصل الى اعتقاد لن ماتحت يده اصبح امرا « بعيدا عن التفاوض » وعلى هذه الاوهام استسلمت اسرائيل للاحلام التى أن فوجئت بذلك اليوم الذى قبل فيه أنور السادات بعقلانية ووطنية بالغة التحدى .. ودخول المفاوضات المباشرة .

■ لماذا المفاوضات

ان الذى اصبح حقيقة واضحة بعد حربى ٦٧ و٧٣ ان الحروب ليست وسيلة لحل المشكلات ..

فى حرب ٦٧ هزمت مصر عسكريا ، ولكن مصر مع هذه الهزيمة العسكرية استطاعت ان تحتفظ بارادتها دون ان تتمكن اسرائيل من املاء مطالبها عليها .

وفى ٧٣ هزمت اسرائيل عسكريا ، ولكن اسرائيل مع هذه الهزيمة العسكرية ايضا ظلت لها مساحة غير قليلة من ارادتها التى تمكنها من ان تظل محتفظة بباقى الارض التى احتلتها حتى اليوم .

الحروب اذن قد تحرك المشاكل ، ولكنها لا تحلها الا اذا جاءت نتيجتها بانتصار أحد الطرفين انتصارا ساحقا يعقبه استسلام الطرف الاخر دون قيد او شرط ..

ومعنى هذا .. انه مع أية حرب لابد ان تجىء ساعة المفاوضات .. وهى ساعة حاولت اسرائيل أن تسقطها من حساب الزمن لولا اصرار السادات على تجاوز كل الشكليات ودفعها دفعا لمائدة التفاوض بهذا العمل الاسطورى الذى تمثل فى زيارته للقدس وتجاوزه كل التقاليد المعروفة .

■ طريق المفاوضات

بكل الصدق مع انفسنا ومع عقولنا يجب ان نتوقع طريقا طويلا ومضنيا .. لاكثر من سبب :

① ان المطالب التى طرحها انور السادات تعتبر بالنسبة للمفاوض المصرى مبادىء اساسية لارجوع فيها . لكنها بالنسبة للفكر الاسرائيلى تمثل اقصى مايمكن ان يطالب به اى قائد عربى ..

ولعل هذا يفسر انه برغم طاحونة الكلام التى تديرها قيادات ماتطلق على نفسها ((دول الرفض)) فليست هناك واحدة من هذه القيادات يمكنها أن تزعم او تقول بان فى امكانها مطالبه اسرائيل باكثر مما طالبها به انور السادات .

هذه هى الحقيقة الجوهرية التى يجب ان ينتبهها وان يعيها كل عربى ..

لو ان هناك مطلبا زيادة على الذى قاله أنور السادات لوجب ان يقال فورا

ولقد حاولت جهدى وبكل التفكير العقلانى ان أجد وسط أكوام الطروب التى يتقدننا بها قيادات دول الرفض مطلبا واحدا لم يطلبه السادات **لكننى وجدت** تفسيرا واضحا فى حديث ادلى به الرئيس السورى حافظ الاسد الى اعضاء وفد الكونجرس الامريكى الذى زار سوريا يوم الاحد الماضى عندما قال لهم [ان سوريا لا تزال ترفض معالجة السادات للقضية] !!

(٢) انه من الطبيعى ان تظهر على طريق التفاوض مشاكل عديدة .. فالمفاوضات الجارية لاتحل وضعا بدا منذ ٦٧ ، ولكها تحاول ان تحل اوضاعا بدأت منذ ٣٠ سنة وتعقدت كثيرا بفعل الزمن من ناحية ، وبفعل بعض التصرفات المتشنجة من ناحية أخرى .

(٣) ان من الطبيعى ان تطول المفاوضات خصوصا وان التبادء الاسرائيلية تعودت على الحرب ، وربما مسها الخوف من السلام ، هذا المجهول الذى لم يسبق ان عرفته ..

(٤) ان مصر فى ساحة المعركة تقف وحدها .. تحارب لنفسها وتحارب لغيرها .. ثم اكثر من هذا لا تسمع الا قذائف الخيانة وبيع القضية

ولقد تتوقف المفاوضات وتستانف ..

ولقد تدخل فى مسالك ضيقة ثم تخرج ..

ولقد تفاجا يوما بوصولها الى طريق شبه مسدود .

■

والسؤال الذى لابد وان يتجه اليه فكرنا هو : ماهى اسلحة المفاوض المصرى فى هذا الطريق الوعر الذى يسلكه ؟ ما هى ضماناته من أجل النجاح .. ومن أجل الفشل ايضا ؟ !

صلاح منتصر